المسكن من خلال الرسومات الصخرية بالطاسلي ازجر

أوبراهم جوهر

أستاذة مساعدة- معهد الآثار

مقدمة:

حاول الإنسان منذ فترات ماقبل التاريخ اتخاذ مأوى أو مسكن يقيه من البرودة والحرارة ومن الحيوانات المفترسة في الأماكن التي كان يمر بها ، بحيث مكث على الهواء الطلق وفي الكهوف والمغارات والملاجئ تحت الصخر والدليل على ذلك تلك الآثار التي خلفها في هذه الأماكن على شكل بقايا حجرية ومواقد ورماد وعظام حيوانية استهلكها في عين المكان بالإضافة إلى الشواهد المرسومة والمنقوشة التي خلفها على جدران هذه الصخور المختلفة المنتشرة خاصة خلال العصر الحجري الحديث أين ابرز الفنانون عدة جوانب من حياتهم اليومية على شكل مشاهد متنوعة وضح فيها حتى شكل المسكن الذي كان يقطنه . من خلال مختلف هذه الآثار، استطاع الباحثون إعادة تشكيل وتصور هيئة مسكن ما قبل التاريخ خاصة بمواقع عديدة في الصين وإفريقيا الشرقية والجنوبية وفي أوروبا مثل موقع تيرأماتا بفرنسا.(Lumley (DE) H. ,et al., 2011).

1- أثار المسكن بشمال إفريقيا:

بالنسبة لشمال إفريقيا فتعود أقدم اثار المسكن إلى العصر الحجري القديم الأسفل خاصة بموقع عين الحنش وموقع نقاوس بباتنة أين عثر على بقايا حجرية مرتبة على شكل صفوف، توحي لعملية تبليط الأرضية لتثبيت التربة المبللة بسبب سيلان المياه الدائمة فيها. بالإضافة إلى مواقع أخرى بشمال إفريقيا خاصة بالمغرب الأقصى.

شغل الإنسان بهذه المناطق خلال العصر الحجري القديم المتأخر الملاجئ الصخرية والمغارات خاصة في المناطق الساحلية والشرقية كمغارات بني سغوال بافلوا بورمل ببجاية والدببة والأروية بالشرق الجزائري. كما قام بتخصيص وترتيب عدة مساحات خاصة لكل وظيفة يومية كان يقوم بها وهذا ما سجل في مواقع عديدة خاصة ببرج ملالة بورقلة الذي عثر فيه على ورشات للتقصيب وأخرى للرعي ومساحة لتخزين الأطعمة وللطهي من خلال أثار مواقد (Aumassip,G.1994) عرفت تقريبا نفس الاثار بمواقع كثيرة بالصحراء الوسطى خاصة بالطاسلي ازجر بموقع تين هنكاتين الذي عثر فيه على اثار مختلفة من مواقد ورماد وبقايا عظمية وصناعية وعلى تهيئة حجرية وفخار بداخل ملجئ صخري كانت تحاط به حجارة على شكل جدار خارجي ربما كانت مرتبة للحماية أو كانت مخصصة كزرائب للقطعان المختلفة تدل على تعمير واستقرار بشري بالملجأ منذ الألف العاشرة(Aumassip, G. 1994, 2003 p.88)

نفس الشيء نجده بمنطقة الاهقار اين خلف الإنسان عدة اثار في الاماكن التي أخذها كمسكن له خاصة بأبولاق وأدرار تويين بالتفدست وبلوني وامكني و منيات وتدكلت المؤرخة ما بين الألف السابعة والالف الثالثة ق.م ، مستغلا بذلك أجواف من الغرانيت المتقاربة كانت ربما تحاط بستار أو جدران من الألياف النباتية أو الجلد للحماية (Camps. G. 1969,1974)

2- المسكن في الرسومات الصخرية:

من بين المظاهر الثقافية التي وضحها الفنان من خلال الفن الصخري خاصة الرسومات تمثيله النوع من الزرائب أو الخيم منذ المرحلة الرعوية في مشاهد استقرار أو تخيم بأشكال متنوعة ومختلفة من منطقة لأخرى، خاصة البيضاوية والدائرية أو النصف دائرية والمربعة منها، بحيث صوّر في بعض المشاهد بالطاسيلي ازجر حتى مراحل وطرق انجاز الخيمة الاهليجية أو المستطيلة أو ذات زاوية مقوسة أو على شكل حبة فاصولياء خاصة باهران و بصفار(Muzzolini A. 1981) . كما رسم بداخلها عدة أغراض او اثاث يومية على رفوف المسكن وكذا الفتحات والأفرشة وغيرها من الأغراض اليومية خاصة بصفار (Lhote H.1966).

وقد سبق أن تحدث الباحث لوت هنري من خلال حملاته بالمنطقة عن حضائر البقر بالقرب من الملاجئ الصخرية خاصة بموقع تسوكاي محددة بجدران قدر ارتفاعها حوالي 1م، كانت تحمي المسكن او الملجأ .

استمر تمثيل تقريبا نفس أشكال الزريبة خلال المرحلة الحصانية خاصة الدائرية منها والمستطيلة ، كتلك التي مثلت بتامجرت بالطاسيلي ازجر(Aumassip,G.et Tauveron,M.2003). لكن مع ظهور بعض الأعراض الجديدة لم تكن تعرف من قبل، كالحقائب ذات الشراشف المصنوعة ربما من الجلد او الألياف النباتية تشبه تلك المعروفة عند الطوارق الحاليين .ربما عوضت الأواني الثقيلة المتكونة خاصة من الفخار الصعبة النقل والسهلة التكسر، بسبب الترحال المستمر مع انتشار الجفاف خاصة بملجأ اسلامن بالطاسيلي أزجر .

نفس الشيء بالنسبة لمرحلة الجمال التي استمر فيها تمثيل الخيم المستطيلة والمربعة بعضها تحوي زخاريف على شكل خطوط متقطعة zig zag اما من الداخل او الخارج خاصة في إن التوهامي وإن إتنان وان بندر واهران التي صورت فيها خيم بخطوط متنوعة وحبال تربط بها مع فتحة في إحدى الجوانب تشبه الخيم المعروفة خلال القرن العشرين، بداخلها أشخاص من نمط المثلثين المتقابلين وراس على شكل عصا او خطم الكلب.(صورة: 10).

3- شكل المسكن :

على غرار الكهوف والمغارات التي أخذها الإنسان كمئوا له، يبقى شكل المسكن المهيأ او الذي انجزه إنسان ما قبل التاريخ، خاصة خلال فترة النيوليتي وفجر التاريخ غير معرف بالمناطق الصحراوية، رغم

تأكيد البعض عن مخلفات وأثار مادية متعددة تدل على تهيئة مساكن من خلال تحديد الحيز الدائري بأحجار مختلفة خاصة ما وجد ببرج ملالة (Texier,J.1976) و تين هنكاتن بالطاسلي وتين الترحة بالأكاكوس (Aumassip,G. , 1994) وكذا الاقواس الدائرية التي رتبها البعض كبقايا مساكن او كبنايات جنائزية.إلا انّ الشكل الحقيقي لهذا الاخير واهم عناصره يبقى غامضا، لغياب جدران او اطلال توضح هذه التركيبة، لكن من خلال الفن الصخري خاصة المشاهد المرسومة التي تمثل الاستقرار المؤقت او الدائم لبعض المجموعات البشرية، استطاع الفنان إعطائنا صورة عن الزريبة او الخيمة التي كان يقطنها الإنسان. الاعتماد على مثل هذه المعطيات الفنية يستدعي التحفظ لكون الفنان لا يعطينا دائما معلومات صحيحية عن بيئته بصفة عامة بل يتدخل في ذلك جانبه الذاتي او أنّ هنالك قوانين اجتماعية كانت تفرضها المجموعة او القبيلة التي ينتمي إليها .ومن جهة اخرى لا يمكن اتكار المعلومات المهمة التي يقدمها هذا الفن في دراسة عدة جوانب عن حياة انسان ماقبل التاريخ.

وإذا تمعنا أكثر في المراحل المتسلسلة للفن الصخري الصحراوي وما تحويه من مواضيع مختلفة ومتنوعة خاصة الخاصة بالمسكن فكما ذكرنا سابقا فإنّ هذا الاخير عرف نوعا من التطور في التركيبة والهيئة منذ مرحلة الرعاة ليستمر حتى الفترات الحديثة التي يظهر فيها بعض التغيرات الطفيفة .

حسب المعطيات الفنية خاصة رسومات الطاسلي ازجر فإنّ المسكن أخذ أشكال متنوعة انجزت بألوان مختلفة خاصة الاحمر بكل درجاته و اللون الابيض إما بتقنية الخط الرقيق أو الغليظ على شكل شريط عريض نوعا ما، يتكون من حيز واحد او غرفة واحدة أخذت هيئات متنوعة، ربما كان هؤلاء يشكلونها في الواقع من الحجارة والتربة ثم يضاف لها الاغصان النباتية la paille مثل الزريبة المعروفة حاليا عند الطوارق بالصحراء الوسطى .او كانت من الجلد تثبت بأعمدة من الخشب تحوي مدخلا يمثل على شكل كومة من الاغصان paillasson او الجلد كانت تنقل خلال فترات الترحال وهذا ما أكدته الكثير من المشاهد المرسومات خاصة بصفار وإهاران، وعلى ما يبدوا في المشاهد فإنّ وظيفة تركيب الخيمة كانت تتكفل بها النساء (إهران) دون الرجال (Hachid,M.1998,2000,2014) وقد لاحظنا ترتيب وتخصيص مساحات خاصة بداخل هذه الغرفة تصور فيها الاواني والأغراض اليومية ربما من الخشب او الفخار لتخزين الطعام والسوائل على الرفوف إما في الجهة الخلفية او على إحدى طرفيه. وكذا تخصيص مكان للنوم بوضع السرير والجلوس ايضا. تصور في داخل هذه الخيمة أيضا اشكال بشرية في وضعيات مختلفة نائمة او جالسة خاصة النساء مع صغارها (صفار) و(ملجأ تونهيك) أو الجنسين معا رجل مع امرأة (إن اونغات) او بالقرب منها في مشاهد تخيم.

حاولنا من خلال الرسومات المختلفة في بعض المواقع الفنية وضع تنميط لهذه الزرائب اعتمادا على شكلها المرسوم والذي نجده عادة باللون الاحمر والابيض على شكل شريط واحدا غليظا او مجموعة خطوط متوازية أو متقطعة حسب مختلف الفترات الفنية التي عرفت تمثيله .

لحد الان لا نعرف الكثير عن انواع المساكن التي اتخذتها أصحاب مرحلة الجاموس العتيق ولا أصحاب الرؤوس المستديرة اللذين لم يهتموا بتمثيل الزريبة في رسوماتهم التي خلفوها على جدران الملاجئ التي كانوا يشغلون لمدة معينة. معتمدين في كسب قوتهم على ما يبدوا على القطف وصيد الحيوانات المختلفة رغم العثور على بعض الرواسب الاثرية خاصة بموقع تن هنكاتن بالطاسلي تدل عن فترات استقرار لهذه المجموعات البشرية (Aumassip,G.2013) .لكن هذا الاول أي شكل المسكن بدأ يظهر بدقة خلال المرحلة البقرية او الرعاة التي ترعرع فيها الفن واتسم بالواقعية والاسلوب الطبيعي، بيّن فيه الفنان اشكال زرائب متنوعة، استمرت وانتشرت خلال الفترات الاخيرة خاصة عند شعوب العربات والاحصنة والجمال نحاول تلخيصها فيما يلي :(جدول:01)

مسكن ذو شكل بيضاوي : نجده خاصة خلال المرحلة البقرية القديمة مع اشخاص ذوي الوجوه السوداء (Smith A.1993) والممثل إما بشريط رقيق بالأبيض (صفار وتسوكاي) أو بخطين بالأحمر والابيض (إن أونغات) أو خط رقيق أحمر (صفار)(إن إتنان) مع إظهار مختلف الاثاث الداخلية عرف هذا النمط مع مجموعة صفار أوزنياري.(صورة:3)

مسكن شبه دائري اوعلى شكل حبة فاصولياء: نجده عامة ممثلا في مشاهد استقرار عند مجموعة إهاران تهيلاهي يأخذ عادة شكل دائري يشبه حبة فاصولياء، له تقعر في إحدى جهاته اراد الفنان بذلك توضيح مكان المدخل (Muzzolini,A., 1981,1983,1989) (صورة:5),

مسكن نصف بيضاوي: عرف ايضا خلال المرحلة البقرية خاصة مع مجموعة أوزنياري بصفار كما استمر مع بداية مرحلة الاحصنة(تونهيك) وكذا المرحلة الجمالية (صورة:7)

مسكن دائري: نجده ايضا خلال المرحلة البقرية خاصة بالطاسلي ازجر عرف عند اصحاب الوجوه البيضاء (Smith A.1993).لكن يستمر تمثيله خلال الأحصنة والمرحلة الجمالية مع ظهور تمثيل بعض الاغراض الجديدة تحوي شراشيف ربما من الجلد بداخلها اشخاص ذو المثلثين المتقابلين والرأس على شكل عصا (وان ابنهور)(Muzzolini,A., ,1983,1989) (صورة: 4،10)

مسكن مستطيل الشكل: انتشر تمثيله في المرحلة البقرية خاصة بصفار ينجز عادة باللون الاحمر مع وجود اشكال باللون الابيض في بعض الحالات على شكل خط غليظا أو رقيقا له مدخل بداخله اغراض يومية(صورة: 2) بجانب أشخاص زنوج من نوع صفار ازنياري.(Muzzolini,A., ,1981, .) (صورة: 1)

مسكن مربع: ينتشر هذا النوع خلال المرحلة الحصانية بمواقع عديدة بالطاسلي ازجر خاصة بإن بندر وتبركات وكذا بإن التوهامي وتين تنفي ، يمثل عادة احادي اللون خاصة بالاحمر أو ثنائي اللون الاحمر والابيض، يحاط بمجموعة من الخطوط المتوازية او المتقطعة ربما للتزيين او يحمل اشكال هندسية أو

مربعات صغيرة من الجهة الخارجية تمثل بداخله أيضا اشكال ذو المثلثين المتقابلين وراس على شكل عصي ورموز كتابية بجانب جمال او احصنة وهذا ما لاحظناه بإن التوهامي. (صورة:8،9).

المرحلة الفنية	نوع المسكن	محتوياته	الموقع	الشكل
البقرية	بيضاوي+مستطيل دائري+ شبه بيضاوي	اغراض يومية+أشخاص	صفار جبران ،إن إتتان ،إن التوهامي	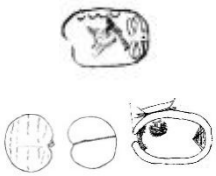
الحصانية	دائري +مربع	أغراض يومية أشخاص تخطيطية	وانابنهور، تونيك، تين تنفي	
الجمالية	مربع+ دائري	أغراض جديدة ذات شراشيف ،كتابة أشخاص تخطيطية	وانبندر ،إن التوهامي	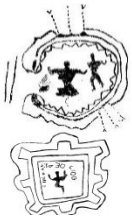

جدول: 01 - مختلف اشكال الزرائب الممثلة في الفن الصخري بالطاسلي ازجر

1

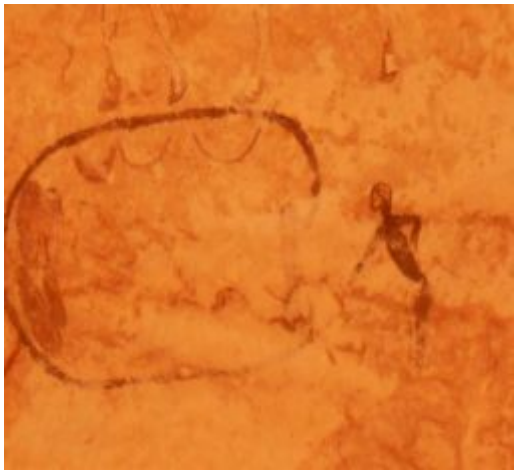
2

4

3

5

صورة: 1،2،3،4،5 - نماذج من المسكن خلال المرحلة الرعوية بصفار وإهران

(3،4،5عن(Lajoux j.d.2012)(Hachid M.2014)

7

6

9

8

10

صورة:10،9،8،7،6- نماذج المسكن خلال المرحلة الحصانية والجمالية بالطاسلي أزجر

المراجع:

Aumassip G.,Tauveron M. **1993**- Le Sahara central à l'Holocène. L'Art et lambiente del sahara Préistorico :Dati Italiana interpretazioni, Memorie della Societa di Scienze naturali, Vol.XXVI Fascicul2,millano pp.63-80

Aumassip G.,**Onrubia Pintado ,J.-1994**- l'habitat préhistorique au Sahara. Milieux, hommes et techniques du sahara préhistorique, problèmes actuels, L'Harmattan, pp.179-191.

Aumassip G., 2003 -L 'habitat saharien au néolithique des nomades et des sédentaires. Architectures premières, l'Algérie deux million d'année d'histoire pp.86-93

Aumassip G.2013- Le site de Tin Hanakaten (Tassili Azjer,Algerie) et la chronologie de l'art rupestre saharien, Ikosim,n°02 ,pp.49-60.

Camps G. ,1969-Amekni néolithique ancien du Hoggar C.R.A.P.E, Alger N°10 p.163

Camps, G., **1974**- les civilisations préhistoriques d'Afrique du Nord et du Sahara, ed.Doin, Paris.

Hachid M., 1998- Le Tassili des Ajjer. Aux sources de l'Afrique 50 siècles avant les pyramides.Edi.2000, Alger.

Hachid M., 2001- Les premiers berbères. Entre Méditerranée, Tassili et Nil. Ina-yas, Edisud, Alger.

Hachid M. et Martin Y.et Natier M. 2014-Tassili –n- Ajjer peintures préhistoriques du Sahara central, Musée de louviers. Ed. Points de vue, pp.113-129.

Lajoux D. 2012- Murs d'image, art rupestre du Sahara préhistorique, Ed.Errance

Lhote H.1966- Données récentes sur les gravures et les peintures rupestres du Sahara. Simposio de Arte rupestre Barcelona, Instit.de Prehist.y Arquel. Pp.273-290.

Lumley (DE)H., et al 2011- Terra Amata Nice Alpes maritimes des campements de chasseurs acheuléenne de 400.000 à 380.000, Tome II ,C.N.R.S paris

Muzzolini A., 1981- « Essai de classification des peintures bovidienne du Tassili » Bulletin de la Société Préhistorique de l'Ariège T.XXXVI, P.93-113

Muzzolini A., 1983- « l'Art rupestre de Sahara central. Classification et chronologie. Le bœuf dans la préhistoire Nord Africain et Saharienne. » Thèse de Doctorat 3éme Cycle, T.1 et 2, aix-Marseille.

Muzzolini A., 1988/1989- « l'Etat actuel des études sur l'art rupestre saharien : Pesanteurs et Perspectives. » Ars Praehistorica, T.VII/VIII, p.265-277

Smith A.B. 1993-New approaches to Sahara Rock art in: L'arte et l'ambiente del Sahara prehistorico: dati e interpretazioni.Memorie della Societa Italiana di Scienze Naturali, vol.XXVI?,fasc.2, Milano,p.468-470

Texier J.,Marmier,F.,Trecolle G.1976- Le campement préhistorique de Bordj Mellela. Centre de rech.et d'Et.préhist.,Paris.